

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

عودة « الرسالة » و « الثقافة »
لرأسل « الاداب » في القاهرة

اخيرا عادت الى الظهور مجلة الرسالة ومجلة الثقافة ، وذلك بعد ان توقفت المجلتان حوالي عشر سنوات ، وكان ذلك في بدايـة الثورة .

وكانت ظروف توقف المجلتين في ذلك الحين عديدة ، وكان على رأس هذه الظروف ان عصرا ادبيا جديدا بدأ في شكل تيار عنيف ، وكان هذا العصر يختلف في كثير من الامور عن المفاهيم الادبية والفكرية التي تحملها الرسالة والثقافة ، لقد كان العصر الجديد عصرا يميل الى الادب الواقعي الذي يهتم بمشاكل المجتمع وبالصراع الاجتماعي ، وكان الفكر الجديد يميل الى هذا الجانب نفسه . . . كان فكرا يبحث عن جذور المشكلة الاجتماعية والعلاج الذي يمكن ان يقدمه لهذه المشكلة .

ولعل هذا الموقف يتضح اذا ما عدنا الى واقع تلك المرحلة . . في السنة الاولى للثورة او ما قبلها بقليل ، لقد بدأت جميع الاجهزة القديمة نفسها تشعر بالمشكلة شعورا حادا ، فحزب الوفد « الذي تحول قبل الثورة الى حزب اقطاعي وبورجوازي في نفس الوقت » ظهر فيه جناح يساري عنيف يطالب بالتغيير الاجتماعي ويطالب بنظرة شاملة جديدة الى مشاكل الطبقات الشعبية « ومن اعلام هذا الاتجاه اليساري الدكتور مندور والمرحوم الدكتور عزيز فهمي بل والدكتور طه حسين نفسه الذي تبنى بقوة قضية مجانية التعليم ورفع شعار العلم كلاء والهواء » .

بل ان الاحزاب الرجعية مثل الاخوان المسلمين ظهر فيها تيار يساري ايضا ، وكان هذا التيار يحاول بقوة ان يؤكد النزعة الاشتراكية والثورية في الدين الاسلامي ، وفي هذه الفترة ايضا ظهر كاتب مثل خالد محمد خالد . . . الذي ولد - ككاتب - في ضجة ضخمة عليه ، لانه اتجه بكتابات الى تحطيم الاوضاع التي كانت قائمة في ذلك الوقت وعلى رأسها الاقطاع والافكار الرجعية التي تساندته .

هذه امثلة ليست هي كل الامثلة التي ظهرت في واقعنا الفكري في تلك المرحلة ، والتي هزت الاوضاع القديمة هزا عنيفا ، وأثرت على جمهور القراء تأثيرا قويا ، فبدأ يتطلع الى عالم جديد ونماذج جديدة من الفكر والفن والادب .

انها مجرد نماذج من الواقع الجديد الذي ظهر ومهد لانغلاق الرسالة والثقافة سنة ١٩٥٢ ، فقد كانت هاتان المجلتان بعيدتين عن تمثيل أي فكر ثوري من هذا النوع . . . لقد كانتا مجلتين محافظتين تمثلان الفكر المستقر الهادئ . . . الفكر المحافظ .

وفي خلال هذه البدايات الصنيعة قامت الثورة وبدأت تواجه عمليا وبفوة مشكلة المجتمع . . . حيث اتجهت بحزم وبلا تردد الى القضاء على الاوضاع القديمة الفاسدة .

وفي هذا الجو توقفت الرسالة والثقافة . وكان من الواضح ان المجلتين قد فقدتا قدرتهما على التلازم مع الواقع الجديد . فقد ظهرت المجلتان في عصر خاص وقامتا بدور خاص . وكانت ابرز

معالم هذا الدور : احياء الثقافة القديمة ودراستها دراسة عصرية ، وقد قامت المجلتان في الحقيقة بدور كبير في احياء الكلاسيكية وتخليصها من الغبار المتراكم فوقها ، فقد ساهمت المجلتان في دراسة الادب القديم والفلسفة القديمة ، بل وساهمت المجلتان مساهمة فعالة في دراسة الدين الاسلامي دراسة عصرية تخضع لناهج علم النفس وعلوم التاريخ والاجتماع وغير ذلك من المناهج الجديدة ، وقامت المجلتان بخلق نوع من الصلة بين الثقافة الغربية والثقافة العربية ، واستوعبت المجلتان ايضا حركة الشعر الرومانسي الى جانب حرصهما التام على الشعر التقليدي في شكله ومضمونه .

وخلاصة الدور الذي قامت به المجلتان هو احياء الكلاسيكية والحرص على تقاليد الفكرية والفوقية ثم الاهتمام اهتماما « عاما » بالثقافة الغربية والاشكال الجديدة في الادب مثل القصة والمسرحية . وقد ادت المجلتان دورهما الكبير في هذه الحدود . . . وعلى الاخص مجلة الرسالة التي كانت اطول عمرا واكثر تأثيرا .

والمجلتان تعودان الى الحياة اليوم وبعد عشر سنوات من التوقف وخلال هذه السنوات حدثت تغيرات في الفكر والادب ، واصبحت وظيفة المجلة الادبية مختلفة تماما عن وظيفة المجلة التي كانت منذ عشر سنوات . فهل راعت المجلتان هذه الحقيقة ؟ . . هل كان هناك حساب لاختلاف الزمن واختلاف الظروف ؟

الحق ان المجلتين في حاجة الى مزيد من الجهد لكي يكونا تمييزا حقيقيا عن المرحلة الادبية والفكرية الراهنة . ففي السنوات الاخيرة حدثت هذه التغيرات الهامة التي لا يمكن الابتعاد عنها او عدم الاعتراف بها :

اولا : ظهر الاهتمام الواسع بالادب الشعبي والفنون الشعبية ، واصبح في كلية الاداب كرسي للادب الشعبي « يشغله الان الدكتور عبد الحميد يونس » ، واصبح للدراسات الشعبية اهمية كبرى في هذه المرحلة من تطورنا الفكري ، بل اكثر من هذا ظهر عندنا عدد كبير من الشعراء الذين يكتبون بالعامية كتابات على غاية من الاهمية ، كل ذلك يقتضي الاهتمام بالادب الشعبي ودراسته ونشر نماذجه الجديدة .

ثانيا : اصبح للدولة نفسها - بعد الثورة - اتجاه فكري واضح ، فهي دولة اشتراكية عربية ، ولذلك فان الاهتمام بالدراسات الاشتراكية والعربية يجب ان يكون واضحا كل الوضوح ، فالاشتراكية هي النظرية التي نسير على ضوئها ، كما ان الاتجاه العربي اصبح اصيلا في خط سير الدولة .

والمفروض ان تكون الدراسات التي تظهر في مجلاتنا موجهة - بوعي وفهم عميق - توجيها اشتراكيا ، سواء في اختيار الموضوع او في المنهج ، فيجب على سبيل المثال ان تكون الدراسات الخاصة بتاريخنا القديم قائمة على اساس جديد ، فالذين يدرسون الحروب الصليبية مثلا على انها حروب دينية فقط يقومون في خطأ كبير ، لانهم ينظرون الى هذه الحروب من الخارج ، وينظرون اليها نظرة شكلية ، فالمسألة في حقيقتها كانت اعقق بكثير من هذا المظهر ، لقد كان للصراع جوانبه الاقتصادية ، وجوانبه الحضارية ، وجوانبه السياسية وهكذا يجب ان تكون النظرة الى التاريخ في كل جوانبه وحتى تاريخ الاسلام يجب الا تقتصر بحال من الاحوال على الجانب الديني ، فالاسلام نفسه كان ديننا وكان في نفس الوقت ثورة اجتماعية واقتصادية ، ويجب ان نفهم

هذه الامور الثلاثة هي امثلة للتغيرات التي حدثت في حياتنا الفكرية والفنية والادبية خلال السنوات العشر الاخيرة . وهي التغيرات التي كان المفروض على مجلة الرسالة ومجلة الثقافة ان تمكسها عندما صدرا من جديد .

فليس بالامكان اليوم ان نقبل هاتين المجلتين على صورتها القديمة تماما ، وعلى منهجهما القديم .

فهل حدث التغير المطلوب في هاتين المجلتين ؟

الحقيقة انه لم يحدث الا على نطاق ضيق . فليس في المجلتين من الناحية السياسية مثلا دراسات عن المشاكل العربية التي يعيشها العرب اليوم ، ليس هناك دراسات عن الاكرد ، او عن التعريب في الجزائر ، او عن التنظيمات الثورية التي يجب ان ندرسها وتهتم بها مثل جبهة التحرير الجزائرية او غيرها من المنظمات ، ليس هناك دراسات لبرامج الثورات المختلفة ، فهناك ميثاق ثورة ٢٣ يوليو وهناك برنامج طرابلس وهو ميثاق ثورة الجزائر ... لم يحدث ان اهتمت المجلتان بدراسة مثل هذه المشاكل او النصوص السياسية القائمة في الوطن العربي .

ومن الناحية الاخرى نجد ان المجلتين توصدان ابوابهما بشكل واضح في وجه الشعر الجديد ، كذلك لا يوجد اي اتجاه في المجلتين لدراسة الادب الشعبي او نشر نماذج منه والعناية بتقديم هذه النماذج وتفسيرها ، اما من ناحية الاشكال الفنية الجديدة فالاهتمام - في المجلتين - بالمرح مثلا محدود ، رغم ان مسارحنا قد تضاعفت خلال السنوات العشر اربع مرات تقريبا ، ورغم كثرة المسرحيات التي تقدمها هذه المسارح ، اما التلفزيون والراديو فلم تقترب احدي المجلتين تقريبا من اي دراسة تتصل بهما .

قد تكون ظروف الحياة الادبية في بعض الجوانب صعبة ... فنحن نجد مثلا قلة نقاد السينما والمسرح والتلفزيون والراديو . ولكن هذا لايجوز ان يقف عقبة في سبيل تطور المجلتين حتى يكونا تعبيراً حقيقياً او قريبا من الحقيقة عن حياتنا الادبية والفنية والفكرية الجديدة .

يجب ان يكون هناك منهج تسير عليه المجلتان ، على ان تستكمل المجلتان بمرور الوقت ماينقصهما في سبيل تطبيق هذا المنهج تماما ، ويجب ان يكون هذا المنهج مدروسا دقيقا واضحا ... يجب ان يكون نابعا من حاجتنا الفكرية والادبية والفنية الجديدة ، والا فان المجلتين ستبتعدان عن واقصنا الادبي ، وتمجزان عن ان تكونا المرأة للحياة الادبية الجديدة كما كانتا في الماضي امرأة للعقل العربي خلال ربع القرن السابق على ثورة ٢٣ يوليو تقريبا .

هذه الجوانب ، ويجب ان ندرسها بوضوح ، لان الوقوف عند الجانب الديني فقط ، يجعلنا نفقد الكثير من الحوافز الحية التي يمكننا ان نخرج بها اذا ماعدنا الى تاريخنا ونحن مزدودون بنظرة اشتراكية ومنههج اشتراكي .

اما من الناحية العربية ، فمن الواضح ان « التجربة العربية » بشكل عام لم تلق حتى الان الدراسة الكافية ، والتي يجب ان تقوم بها على اوسع نطاق .

فتاريخ العرب الحديث تاريخ منفصل عن بعضه ، ولا يكاد ابناء المغرب العربي يعرفون تاريخ المشرق العربي ، والعكس ايضا صحيح ، كما ان التاريخ العربي الحديث على وجه الخصوص تاريخ مجزأ منفصل عن بعضه فهناك تاريخ مستقل لمصر ، وتاريخ مستقل للشام وتاريخ ثالث للعراق ، وهذا التاريخ المنفصل المجزأ يجب ان يعاد النظر اليه ... ولا بد ان يكون هناك منهج لدراسته كوحدة كاملة متصلة لا منفصلة ، فلقد كان هذا الانفصال في دراسة التاريخ ناتجا عن الانفصال القائم بين اجزاء الوطن العربي ، وناتجا عن اتساع هوة الانفصال بين هذه الاجزاء . اما الان فقد اصبح الاتجاه الصحيح واضحا ، وهو اتجاه الوحدة الكاملة الاصيلية ، مما يتطلب دراسة تاريخنا العربي على ضوء جديد .

ثالثا : اصبحت هناك اتجاهات جديدة في الادب والفن ، وازدهرت اشكال جديدة فيهما .. واصبح من المطلوب ان تعكس المجلات الجديدة - اذا ارادت ان تكون معبرة عن حياتنا الادبية - هذا الواقع . فالشعر الجديد اصبح قضية اساسية من قضايا حياتنا الادبية الجديدة ، وأي اهمال او تجاهل لهذه الحركة الشعرية معناه الاهمال والتجاهل لجانب اساسي هام من جوانب حياتنا الادبية ، فقد اصبح من الواضح اليوم ان الشعر الجديد هو التيار الفني الرئيسي الذي تدور حوله الحركة الشعرية كلها .

اما الالوان الجديدة التي ازدهرت في حياتنا الادبية فيقف المسرح على رأسها ، لقد كان المسرح قبل الثورة فنا محدود التأثير والاتساع ، اما الان فقد اصبح فنا جماهيريا الى ابعد مدى ، واصبح عندنا فئة من كتاب المسرح يعتبرون من طليعة الابداء ويقفون في مقدمة الجيل الجديد ، كذلك اصبح التلفزيون واصبحت الاذاعة من الوسائل الفنية التي تستخدمها فئة كبيرة من الكتاب ، وتناثر بها نسبة عالية من الجمهور .

كل هذه الاشكال الفنية تحتاج الى متابعتها ودراستها ، وتحتاج الى الوان جديدة من النقد الذي يعرف اصولها ومشاكلها ليستطيع ان يناقشها ويكون له فيها رأي .

الاشتراكية والادب

وَمَقَامَاتُ اخْرَجِي

تأليف

الدكتور لويس عوض

دراسات معمقة عن النزعة الاشتراكية
كما تبدو في آثار اكبر الكتاب العالميين

الشمس ٣٥٠ ق.ل

صدر حديثا عن دار الآداب